عُمْرةٌ بقلبٍ حَاضِرٍ

من كتاب العُمْرَةُ والرِحْلَةُ الإيمَانيّةُ

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

ح

عادل الجهني، ١٤٤٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني، عادل عبد العزيز أحمد

العمرة والرحلة الإيمانية

عادل عبد العزيز أحمد الجهني، أملج، ١٤٤٦ هـ

ط١ ، ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٠١٧

ردمك: ٩-٤٢٠٧-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٠١٧

ردمك: ٩-٤٢٠٧-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

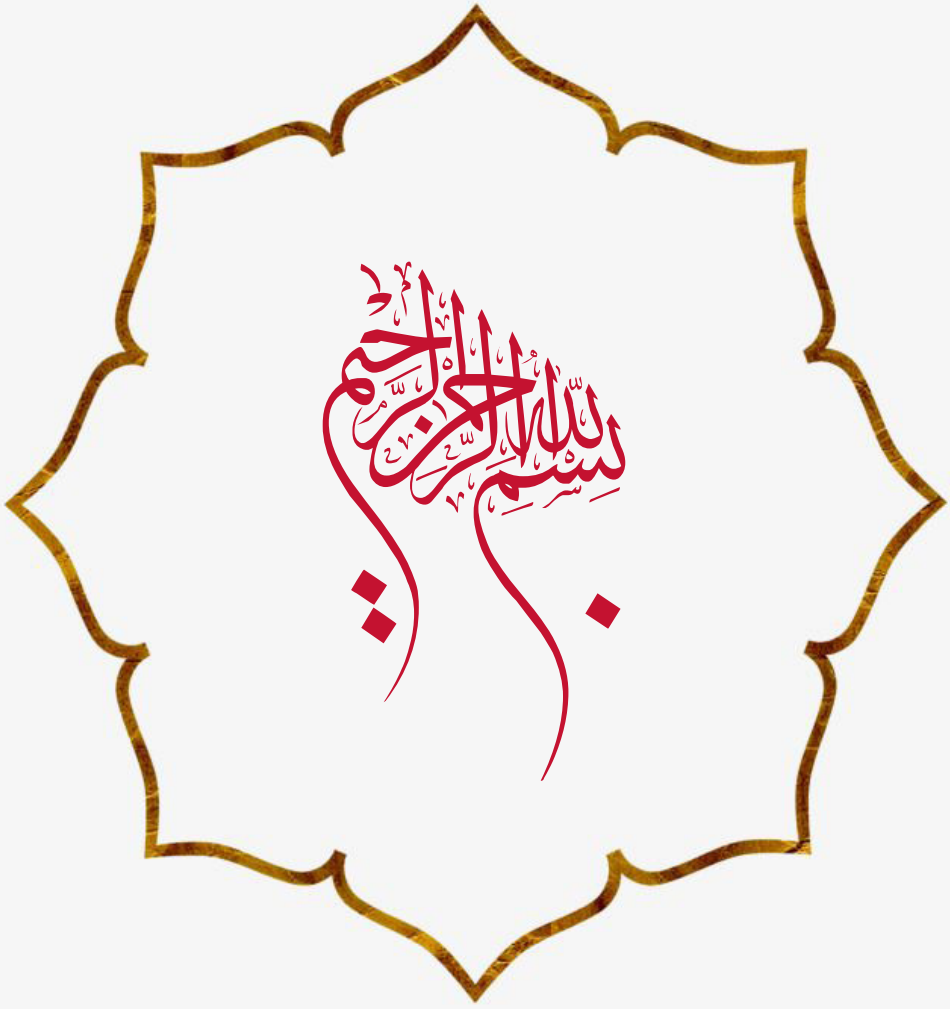
بسم الله الرحمن الرحيم

عُمْرةٌ بقلبٍ حَاضِرٍ

العُمْـرَةُ عبـادةٌ جليلَـةٌ، حالُهَـا كحَـالِ كلِّ عِبَادَةٍ يتقـرَّبُ بهَـا العبْدُ إلَى رَبِّـهِ تَعَالَى، فَمَـنْ رامَ الانتِفَاعَ الكامِلَ مِنْ هَذَا النُّسُكِ، فعليهِ العنَايَةُ بشأنِهَا، وأداؤها بقَلْبٍ حاضِرٍ، سـاعِيًا أنْ يُوقِعَهَا علَى أحْسَـنِ مَوْقِعٍ، ليجْنِـيَ ثمَرَتَهَـا، ويَنَالَ أوفَـرَ الأجْرِ والثـوَابِ مِنْهَا، فمِـنَ المعْلُـومِ أنَّ ثـوابَ الطاعَـةِ يختَلِفُ مِـنْ عَابِدٍ لآخَرَ، وذَلِكَ بحسـبِ مَا يقومُ بقلبِهِ مِنَ الإخلاصِ، وحضُـورِ القَلْبِ فيهَا، والاجتهَادِ فِـي إكمَالِهَا، ولِذَا كَانَ أعظَـمَ الأمُورِ رِعَايَـةً، وأولَاهَـا بالعِنَايَةِ: **تذكيرُ النفسِ بأهمِّيَّةِ الإخْـلاصِ، وابتِغَاءِ وجْهَ اللهِ قبلَ البَدْءِ**

بهَـا، قَالَ الطَبَـرِيُّ عندَ قَـوْلِ اللهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقـرة: ١٩٦]: (إِتْمَامُهُمَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أهلِكَ لَا تُرِيـدُ غيرَهُمَا) فالعُمْرَةُ عبَادَةٌ ظَاهِرَةٌ تحتَاجُ إِلَى مراقَبَةِ النِيَّةِ فيهَا.

والإِخْلَاصُ لَهُ أَثَرُهُ فِي إِحسَـانِ العِبَادَةِ، وإِتمامُهَا علَى أكمَلِ حَالٍ، فيُخْلِصُ العبْدُ عنْدَ عقْدِ النِيَّةِ للسَفَرِ للعُمْـرَةِ، مبتغِيًا بِهَا الأجرَ مِنَ اللهِ وحدَهُ، ويُجدِّدُ هذه النيَّةَ عِنْدَ الإِحْرَامِ، وعنْدَ الطَوَافِ والسَّعْيِ.

وهنـا مَلْحَـظٌ مهِـمٌّ ينبغِـي التنبيـهُ عليـهِ، وَهُـوَ: (أنّ اسـتقامَةَ العبْـدِ على شـرْعِ اللهِ فِي سـائِرِ حياتِهِ لَهُ أَثَـرُهُ فِي التوفِيـقِ لإِتقانِ العِبَـادَاتِ، فكلَّمَـا كانَ ألزَمَ للطاعَـةِ وفَّقَهُ اللهُ فيهَا، وَهَذِه أحدُ ثمراتِ الاسـتقَامَةِ،

فالحَسَنَةُ تُنادِي أختَها، والتوفيقُ ملازِمٌ للعبدِ الصَّالِحِ فِي طاعاتِهِ كلِّهَا).

ثانيًا: احرِصْ على أدائِهَا على السُّنّةِ مَا استطَعْتَ إلى ذَلِكَ سبيلًا، وهذَا لا يتمِّ إلا بمعرِفَةِ صفَتِهَا الكامِلَةِ كمَا ثبتَتْ عنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهذا بيانٌ موجَزٌ لصِفَةِ العمْرَةِ الكامِلَةِ:

إذا وصلْتَ -أيُّهَا الموفَّقُ- الميقَاتَ فاغتَسِلْ للإحْرَامِ، فالاغتسَالُ لَهُ سُنَّةٌ ثابِتَةٌ، وتطيَّب في اللحْيَةِ والرأْسِ، فهذِهِ هي السُّنّة لِمَا فِي الصحيحَيْنِ منْ حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُطَيِّبُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَطْيَبِ ما يَجِدُ، حتَّى أجِدَ وبِيصَ الطِّيبِ في رَأْسِهِ ولِحْيَتِهِ» رواه البخاري ومسلم.

والوَبيصُ، هُوَ: البَرِيقُ واللمَعَانُ.

ثـمّ البَـسْ إحرامَـكَ، فـإنْ أحرمْتَ وقْـتَ صلاةِ فريضَةٍ، فادخُلْ في النُّسُـكِ بعدَ هذهِ الصلاةِ، وإنْ لَمْ يكنْ وقْتَ صَلَاةٍ، فصلِّ ركعتَيْنِ نَافِلَةً، ثمّ انوِ الدخولَ فِي نُسُـكِ العمرَةِ، وَقُلْ: (لبيكَ اللهُـمَّ عمْرَةً) (لَبَّيْكَ اللَّهُـمَّ لَبَّيْـكَ، لَبَّيْكَ لا شَـرِيكَ لكَ لَبَّيْـكَ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ)

ومعنى التلبية: الإجَابَةُ بَعْدَ الإجَابَةِ.

فالمعنَـى: كلَّمَا أجبتُكَ في أمْرٍ فأنَا في الأمْرِ الآخَرِ مُجيبٌ.

ومنْ معانِي التلبِيَةِ: الإقَامَةُ واللزومُ، فيبقَى المُعتَمِرُ مقيمًا علَى طَاعَةِ ربِّهِ، ملازِمًا لهَا طيلَةَ تلبُّسِهِ بأعمالِهَا،

ولعلَّهَا أنْ تكـونَ إقامَةً دائِمَةً علَـى الطاعَةِ حتَّى يلقَى الموَفَّقُ ربَه عَزَّوَجَلَّ.

ومعرِفَـةُ هـذه المعَانِـي لَهَـا أهميَّتُهَـا وأثَرُها فِي حضُورِ القلْبِ فيهَا.

وقـد ورَدَتْ بفضـلِ التلبِيَةِ الآثَارُ، ومِـنْ ذلكَ مَا جَـاءَ فِي قولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ ولا كبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطّ إلا بُشِّـرَ بالجنَّـة» أخرجَهُ الطَبَرانِيُّ، وهوَ في صحِيحِ الجَامِعِ.

وعـن سـهلِ بـنِ سـعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عـنْ رسـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «ما مِنْ مسـلمٍ يلبِّي إلَّا لبَّى من عن يمينِـه أو عن شـمالِه من حجرٍ أو شـجرٍ أو مدرٍ حتَّى

تَنقطـعَ الأرضُ من هاهنـا وَهاهنا» رواه الترمـذيُ وابنُ ماجه وصحّحه الألبانيُ.

فما حوْلَ الملَبِّي يُلبِّي كلُّهُ بتلبِيَتِهِ، وفِي هذَا دلالَةٌ واضِحَةٌ لفضْلِ هذهِ العِبَادَةِ الجليلَةِ، حتَّى قالَ بعضُ أهـلِ العِلْمِ: (يُلبِّـي مَنْ حولَهُ، فينَـالُ أجرَهُمْ لأنَّهُ هوَ السـبَبُ في هـذِهِ العبَادَةِ) فانْظُـرْ لفضْلِهَـا، وكيفَ أنَّ المقَصِّرَ فيهَا يفُوتُهُ فضْلٌ كبيرٍ.

ولا يقطَعُ المُلبي التلبيةَ حتى يشـرَعَ فِي الطوَافِ، وهذِهِ هي السُنّةُ فيهَا، وما ترَاهُ اليومَ مِنْ تفريطٍ ظاهِرٍ فِي التَلْبِيَةِ عندَ الإحرَامِ وبعدَهُ إنّما هُوَ بسبَبِ الضعْفِ فِي تطبيقِ هَذه السُنّةِ، والزهدِ فِي أجرِهَا، فتنَبَّهْ.

وهنَا توجيهٌ يغفلُ عنـهُ الكثيرُ، وهُوَ: أنَّهُ كلَّمَا طبَّقَ العابِدُ السنَنَ فِي عبادَاتِهِ أتقنَهَا ووفَّق فيهَا، وعظُمَ أجرُهُ وثوابُهُ، ووجَدَ أثَرَهَا عندَ الأدَاءِ، وبعدَ الانتهَاءِ مِنْهَا.

فـإذَا مَا أقبَلْـتَ على مكةَ، فالسُـنَّةُ الاغتسَـالُ عندَ دخولِهَا -إنْ تيَسَّرَ لكَ ذلِكَ-؛ «لأنّ النبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغتسَلَ عندَ دخولِهِ مكَّةَ» كمَا فِي صحِيحِ مسلم، وجاءَ فِي مُوَطَّـأِ الإمامِ مالِكٍ منْ طريقِ نافِـعٍ عَنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أنَّهُ كانَ إذَا خَرَجَ حاجًّا أو معتمرًا لم يدخُلْ مكَّةَ حتَّى يغتَسِلَ، ويأمُرَ مَنْ مَعَهُ أنْ يغْتَسِلَ).

فتغتَسِـلُ قبلَ البـدءِ بالطَّـوافِ لتكونَ علَـى هيأةٍ حسنةٍ، ولتُؤدِّيَ العمرَةَ بنشَاطٍ.

وهنا أمرٌ مهمٌّ ينبغِـي التنبيهُ عليهِ، وَهُوَ: (أنّ بعضَ المعتمرينَ يقدِمُونَ مكَّـةَ وقدْ بلَغَ منهُمُ التعَبُ مبلَغَهُ، فيريدُ أنْ يؤدِّيَ العمرَةَ بعدَ وصولِهِ مباشَـرَةً -وإنْ كانَ مُجَهـدًا- لأجلِ أنْ ينتهِيَ منهَا، فيُؤديها بجهْدٍ شـديدٍ عليـهِ وعَلَـى مرافقِيـهِ، ويرغَـبُ بالانتِهَـاءِ منهـا بأيِّ طريقَـةٍ؛ ولئِنْ كانَتِ السُـنَّةُ أن يبدَأَ بالعُمْـرَةِ إذَا وَصَلَ مكَّـةَ إلا أنَّ القاعِدَةَ: (أنَّ مراعاةَ ذاتِ العبادَةِ أوْلَى مِنْ مراعَـاةِ زمَانِهَا ومكانِهَا) فلوْ أخَّـرْتَ أداءَ العمرَةِ بعدَ أخذِ قِسْـطٍ مِنَ الراحَةِ لتؤدِّيَهَا علَى أحْسَـنِ حالٍ، فهُوَ الأجدَرُ والأَوْلى ، فأنتَ إنَّمَا جئْتَ مَكَّةَ لأجلِ العمرَةِ، فاعتَنِ بشأنِهَا لتُؤدِّيَها علَى أكمَلِ وجْهٍ).

فإذَا ما دخَلْتَ المسجِدَ الحرَامَ، فادخُلْه مُعظِّمًا لربِّكَ، حامِدًا مَوْلَاكَ بمَا يَسَّرَ لَكَ الوصولَ إلَى هذِهِ المواطِنِ المُبَارَكَةِ.

(وطُفْ بهِ مُتَذَكِّرًا أنَّه أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للعبَادَةِ في الأرضِ، وأنَّ اللهَ جعَلَهُ قِبْلَةً للمسلمين، يؤُمُّونَهُ كلَّ فَرْضٍ، وإذا استحضَرْتَ تفاوُتَ مواقيتِ الصلوَاتِ فِي العَالَمِ عرَفْتَ أنَّهُ يُؤمُّ ويُتجَّهُ إليهِ فِي كلِّ دقيقَةٍ مِنْ دقائِقِ الليلِ والنَّهَارِ، فما أعظَمَ هذا البيتَ! وما أرفعَ مكانَتَهُ!

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا» أخرجه ابن ماجه.

وكانتْ مكانَةُ الكعبةِ عظيمةَ القدْرِ عندَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذَا لمَّا رَقَى علَى الصَّفَا نظَرَ إليهَا مَعَ أنَّهُ فِي السعيِ إلا أنَّهُ أرادَ أنْ يُعَلِّم النّاسَ عظمةَ البيتِ، وارتبَاطَ القلوبِ بِهِ، وأنَّ استقبَالَهُ حالَ الدعاءِ مِنْ آدابِهِ ومِنْ أسبَابِ استجْمَاعِ القَلْبِ فيهِ.

قالَ ابْنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الأثرِ: أنَّ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا حجَّ البيتَ وقضَى نُسُكَهُ، أتتْهُ الملائِكَةُ، فقَالُوا له: يا آدمُ، بَرَّ حَجُّك، لقدْ حججنَا هذَا البيتَ قبْلَكَ بألفَيْ عَامٍ) [لطائف المعارف:٦٣]

كأني أمامَ العتيقِ ذَهُولْ

وهذا الجلالُ بسِرِّي يجولْ

وما إنْ وقفتُ بِبَيْتِكَ عَبْدًا

رأيتُ الجمالَ إليكَ يؤولْ

فَأيُّ بَهَاءٍ وَأَيُّ ضِيَاءْ

إِذَا شَعَّ نُورٌ يَعُمُّ الْفَضَاءْ

فَكَعْبَةُ رَبِّي جَلالٌ وَنُورٌ

وَكَعْبَةُ رَبِّي ائْتِلاقُ السَّمَاء)

[انظر كتاب: الحج، وروح العبادة فيه]

والسُنّةُ إذا دخلَ المعتمرُ الحرَمَ البدءُ بالطوافِ بالبيتِ، فيبدَأُ عمرَتَهُ بالحجَرِ الأسوَدِ، فيُقبّلُهُ إنْ تيَسَّرَ لَهُ ذلك، فإنْ شقَّ عليهِ التقبيلُ استلَمَهُ بيدِهِ وقبَّلَ يَدَهُ، فإنْ شقَّ عليهِ استلَمَهُ بعَصَا وقبَّلَهَا،

فإنَّ شـقَّ عليهِ أشـارَ إليهِ بيدِهِ وكبَّرَ ولا يُقبِّـل يدَه بَعْدَ الإشـارَةِ -كَمَا يَفْعلُ البَعْضُ-، ويبـدأُ طَوَافَهَ قائلًا:

(بسم اللهِ واللهُ أكبرُ، اللهمَّ إيمانًا بكَ وتَصْدِيقًا بِكَتَابِكَ، ووَفَاءً بِعَهْدِكَ، واتِّبَاعًا لسُنَّةِ نَبِيِّكَ)

واضطْبِعْ في طوافِكَ، والاضطِبَاعُ، هُوَ: (أنْ يَجْعَلَ المُحرِمُ وسـطَ ردائِهِ تحتَ كتِفِـهِ الأيمَنِ، ويردَّ طرفَيْهِ علَى كتفِهِ الأيسَـرِ مَـعَ بقَاءِ الكتِفِ اليُمْنَى مكشُـوفَةً)

ويكونُ هـذَا الاضطِبَـاعُ طيلَةَ الطوافِ، حتَّـى إذَا مَا انتهى مِنْ طوافِهِ غطّى منكِبَيْهِ ليُصلِّيَ ركعَتَيِ الطوافِ وَهُوَ ساتِرُهُمَا.

وارملْ في أوَّلِ ثلاثَةِ أشـواطٍ فقـطْ، والرَّمَلُ، هوَ: (الإسـراعُ في المشـيِ مِـنْ غيـرِ مُبَاعَدةٍ للخطَـوَاتِ،

وهُوَ للرِجَالِ دونَ النساءِ بإجمَاعِ العُلَمَاءِ)

وقبلَ البدءِ بالطَّوَافِ استَحضِرْ فضائِلَهُ لتطوفَ بقلْبٍ شاكِرٍ،ولسانٍ ذاكِرٍ، فمنْ فضائِلِهِ: أنَّ لكَ بِهِ أجْرَ عتْقِ رقبَةٍ، يَقُولُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَافَ أُسْبُوعًا يُحْصِيهِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ: كَانَ لَهُ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»

رواه الترمذيُّ وأحمدِ.

ومعنى قولِهِ: (أُسْبُوعًا) يعنِي: سبعَةَ أشواطٍ.

ومنْ فضائِلِهِ: أنْ تعلمَ أنّ كلَّ خطواتِكَ في الطوافِ حسناتٌ، وتكفيرٌ للسيئاتِ، يَقُولُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَفَعَ رَجُلٌ قَدَمًا وَلَا وَضَعَهَا: إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ» رواه أحمد، وحسّنه أحمد شاكرِ.

وَكُنْ حاضِرَ القلْبِ فيهِ، غيرَ منشَغِلٍ بغيرِهِ، فالطوافُ عبادةٌ لا تستغرِقُ إلا وقتًا يسيرًا، وهوَ سببٌ عظيمٌ لزيَادَةِ الإيمَانِ، واستحْضِرْ نَظَرَ اللهِ لقلبِكَ وَعَمَلِكَ، وعِلْمَهُ بكَ وبنيّتِك، فأخلِصْ لهُ فيهِ، وكنْ بينَ الخوفِ والرَّجَاءِ، فأنتَ في عبادَةٍ جليلَةِ القدْرِ، وقُربَةٍ رفيعَةِ الشأْنِ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطَّوَافُ حَوْلَ البَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ، إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمَنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ» وهو في صحيح الترمذي.

وتأمَّلْ حالَ السلَفِ مَعَ هذه العبادَةِ لترَى البَوْنَ الشاسِعَ بيننَا وبينَهُمْ في تعظِيمِ شعَائِرِ اللهِ، -ومنهَا عبَادَةُ الطوَافِ-.

قال عطاءُ بـنُ أبِي رَبَاح: (رأيـتُ عبدَ الله بنَ عمر وعبـدَ الله بنَ عبـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يطوفـان بالبيت جميعًا كأنَّ على رؤوسهما الطير تخشُّعًا)

وقال: (طفـتُ وراء ابن عمرَ وابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فلَمْ أسمَعْ أحدًا منهُمَا يتكَلَّمُ في الطَّوَافِ)

وعـنْ عبدالكريـمِ بنِ أبِي المخارِقِ قـالَ: قالَ لَنَا طـاوُوسُ: (إذَا كُنْـتُ فِي الطـوافِ فَلَا تسـألُونِي عَنْ شيءٍ؛ فإنَّمَا الطوافُ صَلَاةٌ)

قالَ الترمِذِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَالْعَمَلُ عَلَى هذا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَسْـتَحِبُّونَ أَلاَّ يَتَكَلَّـمَ الرَّجُلُ فِي الطَّوَافِ؛ إلاَّ لِحَاجَةٍ، أو بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى) [سنن الترمذي: ٣/ ٢٩٣]

وَقَالَ الإِمَامُ النَوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وينبغِي للطَّائِفِ أنْ يكونَ فِي طوافِهِ خاشعًا متخشِّعًا، حاضِرَ القلبِ، ملازِمَ الأدَبِ بظاهِرِهِ وباطِنِهِ، وفِي هيئتِهِ وحركَتِهِ ونظرِهِ، فإنَّ الطوافَ صلاةٌ، فيتأدَّب بآدابِهَا، ويستشْعِرُ بقَلْبِه عظمَةَ مَنْ يطوفُ ببيتِهِ) [المجموع: ٨/ ٥٠]

فحَرِيٌّ بالطائِفِ أنْ يكونَ حالَ طوافِه خاشعًا، متأدِّبًا بهذه الآدابِ، منشغِلًا بهَذِهِ العبَادَةِ عَنْ كلِّ شيءٍ، صَارِفًا الذهنَ لَهَا، معتنيًا بإيقاعِهَا علَى أحْسَنِ موقِعٍ.

وكمْ مِنَ الطائفين مَنْ همّهم متَى ينتهِي مِنَ الطوافِ، وكأنّه حِمْلٌ علَى ظهْرِهِ يريدُ التخلُّصَ مِنْهُ، أو تَرَاهُ مُنشغلًا بالنّاسِ إمّا بالنظَرِ إليهِمْ، أو الحدِيثِ

إِلَى الرفِيقِ، أَوْ مُنشغلًا بجَوَّالِهِ والتصويرِ، ممَّا يجعَلُهُ لا يشعُرُ بلَذَّةِ هَذِهِ العبادَةِ، ولذَا كانَ لزامًا على الطائِفِ بالبيتِ أنْ يسعَى جهْدَهُ فِي إتقَانِهِ، وأدائِهِ على أكمَلِ حالٍ، فيكونُ في طوافِهِ بين الدعاءِ وذكرِ اللهِ، والثنَاءِ عليهِ بقلبٍ حَاضِرٍ، قالَ ابْنُ قدامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويستَحَبُّ الدعاءُ فِي الطَّوَافِ، والإكثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تعَالَى؛ لأنّ ذلكَ مستَحَبٌّ فِي جميعِ الأحوَالِ، ففي حالِ تلَبُّسِهِ بهذِهِ العبَادَةِ أوْلَى، ويُسْتَحَبُّ أن يَدَعَ الكلامَ، إلا ذكرَ اللهِ تعَالَى، أوْ قراءَةَ القرآنِ).

ويقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويُستَحَبُّ لَهُ فِي الطوافِ أَنْ يذكُرَ اللهَ تعالَى، ويدعوه بمَا شرَعَ وإِنْ قَرَأَ القرآنَ سِرًّا فَلَا بأسَ، وليسَ فيهِ ذِكْرٌ محدودٌ

عـنِ النبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلْ يدعو فيـه بسـائرِ الأدعِيَةِ الشـرعِيَةِ، وكانَ النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختِـمُ طوافَهُ بينَ الركنَيْـنِ بقولِـهِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ كمَـا كانَ يختِـمُ سـائِرَ دعائِهِ بذَلِكَ، والطـوافُ بالبيتِ كالصَّلَاةِ إلَّا أنَّ اللهَ أَبَاحَ فيهِ الكلامَ فَلَا يتَكَلَّمُ فيهِ إلَّا بِخَيْرٍ) [منسـك شـيخ الإسلام]

فانْشَـغِلْ بالذكرِ والمنَاجَاةِ، وتوجَّهْ بقلبِكَ وأنْتَ تطـوفُ لتشـعُرَ بحـلاوَةِ هـذِهِ العبَـادَةِ، وكـمْ نحنُ -واللهِ- بحاجّـةٍ إلـى أنْ نجِـدَ هذه الحـلاوَةَ، واللهُ لِكَرَمِهِ -سبحَانَهُ- يُثيبُ عبدَهُ عاجِلًا علَى عبَادَتِهِ إذَا مَا أدَّاهَا بصورَةٍ تُرضِيهِ.

وادعُ بينَ الركنِ اليَمَانِيِّ والحجرِ الأسْوَدِ بالدعَاءِ المأثـورِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فهـذا -كمـا تقـدّم- ممّا ثبَتَ عنِ النبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذَا المَوْضِعِ، وكرِّرْهُ حتـى تصِلَ الحجَـرَ الأسـوَدَ، وتذَكَّرْ أنّهُ مـن أجمَعِ الأدعِيَةِ لصَلَاحِ الدنيا والآخرة، وأحسـنِ الظَّنَّ باللهِ، وأنَّهُ سيُكرِمُكَ بإجابَتِهِ.

وإن اسـتطعت تقبيـل الحجـرَ الأسـودِ، ومسْـح الركنَ اليماني في كلِّ شوط أو في بعضها فافْعَلْ، فإنّهما يحُطَّـانِ الخطَايا حطًا، فعنِ ابـنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اسْتِلَامَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا**» رواه الإمام أحمد واللفظ له، والترمذي والنسائي.

وإن لـمْ تستطِعْ فارفَعْ يَـدَكَ اليُمْنَـى، وكبِّرْ كلمَا حاذَيْت الحَجرَ الأسـودَ فَقَط في كلِّ شوط، ولَا تُكبِّرْ أوْ تُشِرْ إلى الركنِ اليَمَانِيِّ.

افعلْ ذلِكَ كلَّهُ محتسـبًا اتِّباع السُـنّة فيهـا ليعْظُمَ أجرُكَ في هذه العِبَادَةِ.

فـإذَا مَا انتهيتَ من الطوافِ، فاقْصِدْ مقامَ إبراهيمَ لتُصلـيَ خلفَـهُ ركعتينِ -إن تيَسَّـرَ لـكَ ذَلِكَ- وإلا فَصَلِّ في أيِّ مكانٍ فِي الحَرَمِ، واقرَأْ بسورَةِ الكافِرُونَ فِي الركعَةِ الأولَى بعْدَ الفَاتِحَةِ، وبسـورَةِ الإخْلَاصِ فِي الركعة الثانيَةِ بعدَ الفاتِحَةِ.

وهاتَـانِ الركعتَـانِ تُصَلَّيَـانِ بعد الطـوافِ فِي أيِّ وقْتٍ، وإنْ كانَ وقْتَ نَهْيٍ.

وإنْ دعـوْتَ بعـدَ ركعَتَـيِ الطـوافِ أحيانًـا فلا بـأس، فعَنْ نَافِعٍ تلميذِ ابنِ عمَرَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا قَـدِمَ حَاجًّـا أَوْ مُعْتَمِـرًا طَـافَ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ جُلُوسُهُ فِيهَا أَطْوَلَ مِنْ قِيَامِهِ ثَنَـاءً عَلَى رَبِّهِ وَمَسْـأَلَةً، فَكَانَ يَقُولُ حِيـنَ يَفْرُغُ مِنْ رَكْعَتَيْـهِ، وَبَيْـنَ الصَّفَا وَالْمَـرْوَةِ: (اللَّهُـمَّ اعْصِمْنِي بِدِينِكَ، وَطَاعَةِ رَسُـولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي حُـدُودَكَ، اللَّهُـمَّ اجْعَلْنِـي مِمَّـنْ يُحِبُّـكَ، وَيُحِـبُّ مَلَائِكَتَـكَ، وَرُسُـلَكَ، وَعِبَـادَكَ الصَّالِحِيـنَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنِـي إِلَيْكَ، وَإِلَـى مَلَائِكَتِكَ، وَرُسُـلِكَ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِيـنَ، اللَّهُـمَّ آتِنِـي مِنْ خَيْـرِ مَا تُؤْتِـي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ يَسِّرْنِي لِلْيُسْرَى، وَجَنِّبْنِي الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لِي فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أُوَفِّيَ بِعَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» [أخرجه ابنُ شيبه بسند صحيح] وَرَاعِ عدَمِ التضييقِ علَى النَّاسِ بالجُلوسِ فِي صحْنِ الكعْبَةِ.

ثمّ اشرَبْ من ماءِ زمزَمَ متأسِيًا برسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- الذِي كَانَ يَشرِبُ منْهُ بعدَمَا ينتهَي مِنْ طَوَافِهِ، واستَحَبَّ الفُقَهَاءُ ذلكِ.

ثمّ اقصِدِ الصَفَا للسعْيِ بينَهُ وبينَ المروَةِ بقلبٍ حاضِرٍ، وفؤادٍ شاكِرٍ، واسْتَحضِر وأنت في طريقِكَ

للصفَا أنَّكَ ستُؤدِّي عبَادَةً عظيمَةً، وشعيرَةً ذاتَ قدْرٍ رفيعٍ، يكفِي مِنْ شرفِهَا أنّ اللهَ أنزَلَ فيهَا قرآنًا يُتلَى إلى يومِ القِيَامَة، يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

[البقرة: آية ١٥٨]

وقالَ رسولُ اللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -مبيِّنًا وجوبَهُ وفضْلَهُ-: «اسْعَوْا؛ فإنَّ اللهَ كتب عليكم السَّعيَ» رواه أحمد وابنُ خزيمةِ.

واجتهد أن تُطبّق ما جاءَ فيهِ من سُنَن، وقد كانَتْ سُنّةُ نبيكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهِ: أنَّهُ إذَا أقبَلَ علَى الصفَا قَرَأَ قولَ اللهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ

ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [البقرة: آية ١٥٨] وقال: «أبدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»

واللهُ بَدَأَ الآيَةَ بالصَّفَا، فامْتَثَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمْرَ ربِه، وقدَّمَ ما قدَّمَهُ بِبَدْءِ السَّعيِ بالصَّفا على المروَةِ في الحَجِّ والعُمْرَةِ.

فإذَا مَا صَعَدْتَ على الصفا، فاستقبِلِ الكعبَةَ رافِعًا يديكَ على هيئةِ الدعَاءِ، وقلْ: (اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له، له المُلْك وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه، أنجَزَ وَعْدَه، ونصَرَ عَبْدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَه)

واسْتَحضِر وأنتَ في هـذَا المقَامِ يـومَ صعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِـي بدايَةِ دعوتِهِ وليـسَ مَعَهُ إلا نفرٌ قليلٌ منَ السـابِقِينَ للإسلامِ، فنَادَى قريشًا فاجتمَعُوا، فقَالَ لَهُمْ -مقرّرًا صِدقَهُ فيهِمْ-: (يا بنِي عبدِ المُطَّلبِ، يا بني فِهْرٍ، يا بني عبدِ مَنافٍ، يا بني عَدِيٍّ، أرأَيْتُم لو أخبَرْتُكم أنَّ خَيلًا بسَـفحِ هذا الجبلِ تُريـدُ أنْ تُغيرَ عليكم أكُنْتُم مُصَدِّقِـيَّ؟ قالوا: نَعم؛ مَا جَرّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقًا، قال: فإنِّـي ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فـردَّ عليـهِ أبـو لَهب: تَبًّا لَكَ سائرَ اليومِ الِهذا دَعَوْتَنا) أخرجَهُ البُخَارِيُّ.

وانفَضُّـوا مِـنْ حولِـهِ -وهُوَ الشـفِيقُ عليهِـمْ مِنَ العَذَابِ- فنزَلَ حزينًا على حالِهِمْ، وانصرافِهِمْ عنهُ، وإعراضِهِمْ وإصرارِهِمْ علَى كفْرِهِمْ.

واليـومَ، نعَـمْ اليـومَ، يصعَـدُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَى الصَّفَـا، وبيـنَ يديهِ أكثرُ مِـنْ مئةِ ألـفِ موحِّدٍ مؤمنٍ بـالله، فيُكبّـرُ اللهَ تعظيمًا لَهُ، ذَلِكَ أنّـهُ أنجزَ لَهُ وعدَهُ، وأعَزَّ جندَهُ، وهزَمَ الأحزَابَ وحدَهِ.

يُكبّـرُهُ بعدَ هذهِ السـنَوَاتِ التِي عانَـى فيهَا، فيرَى صدْقَ اللهِ لَهُ بنصرِهِ، وكبْتِ أعدائِهِ وهزيمتِهِمْ، يُكبِّرُهُ شُـكرًا وذِكْرًا له، واقرارًا بفضْلِهِ، فاللهُ هو ذو الفضلِ والإحْسَانِ الكبيرِ، وهو الشاكِرُ العليمِ.

ويُهلِّـلُ بكلمةِ التوحيـدِ اعترافًا بوحدانيتِـهِ، وأنَّهُ هُوَ الإلَهُ الحقُ المبين، ومَا سـواهُ آلهةٌ باطلةٌ واضِحَةُ البطلانِ.

وأنتَ اليوم تُكبّر وتُهلّل وتشْـهَدُ شهادَةَ التوحيدِ، ومئَـاتُ الآلافِ مَعَكَ يُكبِّـرُونَ ويُهلِّلُونَ ويوحِّدُونَ رَبَّهُمْ.

ألا مَـا أعظَمَ هـذا الدِّينَ! وَصِدْقَ وعـدُ اللهِ الذِي أظهـرَه علَـى الأديَـانِ كلِّهَـا، وَصِـدْقَ نبـوةَ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذِي بلَّغَ رسالَتَهُ.

تذكَّرْ وأنتَ تسـعَى بينَ الصفَا والمروَةِ والنَّاسُ مـدَّ البصَرِ بينَ يديكَ، وكيفَ كانَ المسـلمُونَ قِلةً، خائفينَ وجلِين، واليومَ يصِلُ الإسـلامُ إلَى أقاصِي الأرضِ، وَيَمْـلأُ مَابيْـنَ الخَافِقَيْن، وَمَا مِـنْ بَلَدٍ إلا وقَـدْ أتَى منهَا مسـلِمون يطوفُون ويسْـعَوْنَ في هَذا المَكَانِ.

فاسْتَحضِرْ هذه المعَانِي وأنتَ تقولُ هذَا الذكرَ ليكونَ ذِكْرًا بحضُورِ قلْبِ عبدٍ مؤمنٍ يفقَهُ ما يقولُ.

(والسُّنّةُ أنْ تقولَ هذَا الذكرَ -وهوَ التكبيرُ والتهلِيلُ- ثمّ تدعُو، ثم تُعيدُ الذكرَ وتدعُوَ، ثمَّ تُعيدُ الذِّكْرَ وتدعو، تفعَلُ ذلك ثلاثًا). [وهُو اختيارُ الشيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظُر فتاوى نورٌ على الدرب]

والدعاءُ في هذا الموطِنِ منْ مواطِنِ الإجابَةِ، وساعَةٌ مِنْ ساعَاتِ العطَاءِ الربَّانِيِّ للسائِلِينَ، فاللهُ خَتَمَ آيَةَ السعْيِ بينَ الصفَا والمروَةِ بقولِهِ تعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ وفي هذا إشارَةٌ إلى الإثَابَةِ على العَمَلِ، والإجابَةِ للدعَاءِ، **فإنَّ معنَى الشَّاكِرِ: الذي يجزِي علَى الحَسَنَاتِ إحْسانًا كثِيرًا، ويُضاعفُ في**

العَطَـاءِ والثـوابِ، فيُثيبُ عبدَهُ الناسِـكَ، ويُكرِمُ وليَّهُ التَّقِيَّ.

واجتهِـدْ أن تكـونَ حاضِرَ القلـبِ فيـهِ، فالدُّعَاءُ جامِـعٌ للخيـرِ كلِّـهِ، وهـوَ مِنْ أعظَـمِ أسـبَابِ زيادَةِ الإيمَانِ، والحيَاةُ معَهُ من أنفَعِ الأمورِ للقَلْبِ.

وقـدْ وردتْ دعَـواتٌ ثابِتَةٌ فِي هـذَا الموطِنِ عَنْ صحَابَـةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمِمَّـا وَرَدَ عنهُمْ مَا رَواهُ نَافِعٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَـمِعَ عَبْدَ اللهِ بْـنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وَإِنَّـكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنِّي أَسْـأَلُكَ كَمَا هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْـلاَمِ أَلاَ تَنْزِعَهُ مِنِّي حَتَّى تَتَوَفَّانِي وَأَنَا مُسْلِمٌ) رواه مالكٍ.

ونُقِلَ عنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يدعُو بهَذِهِ الدعوَاتِ علَى الصَّفَا: (اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا بِدِينِكَ، وَطَوَاعِيَتِكَ، وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِكَ، وَجَنِّبْنَا حُدُودَكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نُحِبُّكَ، وَنُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ، وَأَنْبِيَاءَكَ، وَرُسُلَكَ، وَنُحِبُّ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى أَنْبِيَائِكَ، وَرُسُلِكَ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ يَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى، وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ) أخرجه البيهقي بسند حسنٍ.

ومن دعواته أنّه كان يقول: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ) رواه البيهقي في سننه بسند صحيح.

واحْفظ ما استطعتَ من أدعيَةِ القرآنِ والسُنَّةِ وادعُ بها، فَهِيَ أجمَعُ الأدعِيَةِ وأنفَعُهَا، وادْعُ بِمَا شئْتَ مِنْ حوائِجِكَ الدنيويَةِ، وكرّرْ دعواتِكَ، وكنْ حاضِرَ القلبِ فيهَا، مُحسِنًا الظنّ بربِّكَ وأنَّهُ سيُجيبها، ويدفَعُ عنكَ بِهَا شرورًا كثيرةً، ويدّخِرُهَا لك ليومِ الحِسَابِ، ففضْلُ اللهِ واسِعٌ علَى عبدِهِ الطائِعِ.

وأطلِ المقَامَ عندَ دعائِكَ، فقد نُقِلَ عَنِ السلَفِ أنَّهُمْ كانوا يُطيلونَ الوقوفَ للدعَاءِ فِي هذا المَوْطِنِ.

وأعرِفُ مِنَ الصالِحِينَ مِنْ أهلِ زمانِنَا مَنْ يبقَى ربَّمَا النصفَ ساعَةٍ واقفًا يدعُو مَعَ كُلِّ شوطٍ، وقَدْ فَتَحَ اللهُ لهُ مِنْ أبوابِ الخيرِ مَا لَمْ يفتَحْهُ علَى غيرِهِ.

ولئِنْ كانَ الواحِدُ منّـا ربَّمَا يصعُبُ عليهِ الوقوفُ مَعَ كلِّ شـوطٍ هذَا الوقْتَ، فَلَا أقلَّ مِنَ الإطَالَةِ -ولَوْ بَعْضَ الوقْتِ، أو بعضَ الأشواطِ-.

ومِنَ المَظَاهِرِ الطيبَةِ مَا نَرَاهُ اليومَ مِنْ كثرَةِ الدّاعِينَ علَـى الصَّفَا والمروَةِ ممَّا لَمْ يكُـنْ معْهُودًا في الزمانِ المَاضِي القريبِ، وكلُّ ذلِكَ بسـبَبِ نشـرِ السُنَنِ بينَ عامَّةِ المسلمينِ.

فإذا ما نزلتَ تسعَى بينَ الصَّفَا والمروَةِ، فكن ذاكرًا لربك، مُعظِّمَهُ بقلبِكَ، منصَرِفًـا بِفِكْرِكَ لهَذِهِ العبادَةِ، دَاعِيًـا بخيْـرَيِ الدنيا والآخِرَة، فمنْ دعـاءِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سـعْيِهِ بينَ الصفَا والمـروَةِ: (رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ) أخرجَهُ ابْنُ أَبِي شيبَةَ.

(ولا يكـنْ همُّـكَ متَـى أنتَهِي؟ بلْ ليكُـنْ همُّكَ كيـفَ يقبَـلُ اللهُ منّي، وأنتفعُ بهَذَا السـعْيِ، ويصلُحُ قلبِـي، ويزدَادُ إيمَانِي بهـذِهِ العبَادَةِ، فالسـعْيُ عبادَةٌ جليلَةٌ لهَا أثَرُهَا علَى النفُوسِ المُؤْمِنَةِ).

واستحضِرْ سعيَ أمِّ إسماعيلَ وَهِيَ مفْتَقِرَةٌ لربِّهَا، تطلُـبُ الغَـوْثَ والفرجَ منهُ، قـدْ علَّقَـتْ قلبَهَا بربِّها وحْدَهُ دونَ سواه.

فاسـعَ مُفْتَقِرًا لربِك، طالبًـا لمرضاته، مجتهدًا أنْ يقبَلَ منـكَ، ويغفِرَ لَـكَ، ويعْفُوَ عنـكَ، ويُحقّقَ لكَ المَطَالِـبَ، ويُرزُقَـكَ الخيـراتِ الواسِـعَةَ، والأماني التِي تعلَّقَتْ بهَا نفسُك.

والسُنّةُ أن تكونَ مَاشْيًا بينَ الصَفَا والمروةِ، وتسعى سعيًا شديدًا بين العَلَمين الأخْضَرِيْن كما كانَ نبِيُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلُ، فقدْ روَى الإمامُ أحمَدُ عَنْ أبي محيصِنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ وَرَاءَهُمْ، وَهُوَ يَسْعَى حَتَّى أَرَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ) وسنده حسنٌ [وفي روايةٍ] قالَ: (ولقد رأيتُهُ من شدَّةِ السَّعيِ يدورُ الإزارُ حولَ بطنِهِ وفخذَيهِ حتَّى رأيتُ بياضَ فخذَيهِ)

يسعَى هَذَا السعْيَ وهُوَ فِي الستِينَ من عمُرِهِ، فصلَواتُ ربِّنَا وسلامُهُ عليهِ.

وَيفعَلُ ذلِكَ تعظِيمًا لأمْرِ اللهِ، وتأسِّيًا بالصَالِحِينَ مِنْ عبادِهِ، فقدْ كانَتْ أمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسعَى هكذا؛ فاسْلك سبيلَهُ، وكنْ على طريقَتِهِ في عبادَاتِكَ كلِّها، وذلِكَ بحُسْنِ التأَسِّي بِهِ، وكمَالِ الاتِّبَاعِ لَهُ، تفُزْ بالأجرِ كامِلًا، وتنتفعْ بِهِ أيّمَا انْتِفَاعٍ.

فإذَا مَا رَقَيْتَ فوقَ المروَةِ، فافعَلْ كمَا فعلْتَ على الصفَا دونَ تلاوةِ الآيَةِ، فالآيةُ لا تُقالُ إلا فِي الشوطِ الأوّلِ فَقَط، وإنّمَا استقبَلِ القبْلَةَ وكبِّرْ وهلِّلْ وادعُ ربَّكَ، افعَلْ ذلك ثلاثًا (كبّر وهلّل ثمّ ادْعُ، ثمّ كبّر وهلّل وادْعُ، ثمّ كبّر وهلّل وادْعُ) وأطلْ كذلِكَ في الدعَاءِ علَى المروَةِ، فهوَ -كمَا تَقَدَّمَ- مِنْ مَواطِنِ الإجَابَةِ.

وإنْ أصابَتْكَ مشَـقَّةٌ أوأدرَكَكَ تعبٌ فلا تتضَجّر، فأنـتَ في عبادَةٍ قد خصّكَ اللهُ بِهَـا من بينِ العالَمِين، وسـهَّلَهَا عليكَ، فملايينُ مِنَ المسلمِينَ يودُّونَ أنَّهُمْ فِي المَكَانِ الذِي أنْتَ فيهِ، ويوفَّقُونَ لِمَا وُفِّقْتَ إليهِ.

فـإذا مـا انتهَيْتَ مـن السـعيِ، فاقصِـدِ الحلَّاقَ، واحلِقْ شـعرَ رأسِـكَ، وإنْ قَصَّرْتَ فلا بَأْسَ، ولكنْ فَاتَكَ الأفضَلُ والأكْمَلُ.

وهكذا تكونُ عمْرَتُك قدْ تمَّتْ لتفرَحَ معَهَا نفسُك التي اسـتجابَتْ لربِّهَـا، وطمِعَتْ في فضلِـهِ، وترجُو ثوابَهُ، ليُكرِمَهَا اللهُ، وهوَ الكريمُ الجَوَادُ.

فإذا ما انتهيتَ مِنَ الحِلاقَةِ أو التقصِيرِ، احتسِـبْ أنَّكَ خرجْتَ مِنْ ذنوبِكَ كيوْمِ ولدتْكَ أمُّكَ - حُسْن ظنٍ باللهِ-.

ولْيمتلـئْ قلبُكَ شـكرًا لِلَّـهِ، ولْيُكثِرِ اللسـانُ مِنَ الحمْـدِ والثنَـاءِ علَى هـذَا التوفِيقِ، واسـأَلْهُ القبولَ، وأحسِنِ الظنَّ بِهِ، فإنّ هذه العبادَاتِ القلبيةَ لهَا أثَرُهَا علَـى العبدِ، وهِـيَ بمكانٍ عنـدَ اللهِ -تعَالَـى-، فاللهُ يُحبُّ الثناءَ مِنْ عبادِهِ، ويُحبُّ الشاكرينَ.

وتأمّـل في هـذه الأعـدَادِ الهائِلَـةِ التي تـؤُمُّ البيتَ والمسعَى فِي كلِّ وقتٍ وآنٍ، والذِي لا يكادُ ينقطِعُ فِيهِ الطوافُ والسـعيُ فِي أيِّ ساعَةٍ مِنْ ليلٍ أو نهَارٍ لتوقِنَ بربٍّ عظِيمٍ قديرٍ، محيطٍ بالعبَادِ، كثيرِ العَطَاءِ لهُمْ.

إنَّ التفكُّـرَ في عظمَةِ اللهِ، وقدْ أحـاطَ عِلمًا بهؤُلَاءِ العُبَّـادِ، وتفضّـلَ عليهِمْ بإجابَـةِ الدعـواتِ، وقبولِ الأعمالِ، ليُوجِبُ تعظيمَهُ وإجلالَهُ، وشـكرَهُ وَالثنَاء

عَليه، فسبحانَ المحيطِ بالنيّاتِ، المُذعنَةِ إليهِ النفوسُ، المُخبتةِ إليه الأفئدة، الفقيرةِ إليهِ وإلَى فضلِهِ ورحمَتِهِ وعفوِهِ وإحسَانِهِ.

أيّها المعتَمِرُ المُوَفَّقُ/

إنّ العنايَةَ بأدَاءِ العُمرَةِ علَى أكملِ وجهٍ دليلُ إيمَانِ صاحِبِهَا، وبرهانُ تعظيمِهِ لأمرِ اللهِ، فمَعَ كثرَةِ المعتمرينَ فِي هذه الأزمِنَةِ التِي لمْ يسبِقْ لهَا مثيلٌ إلا أنَّهُ ينبغِي التذكِيرُ -كمَا تقدَّمَ- بأهميَّةِ الأدَاءِ الأكمَلِ لهَا، فهِيَ شعيرَةٌ تعبّديَّةٌ، شأنُهَا شَأنَ شعَائِرِ الإسلَامِ، والتِي تعظيمُهَا مِنْ تعظِيمِ اللهِ، ومِنْ دَلَائِلِ تَقْوَى القلوبِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: آية ٣٢]

وهـذه العبـادَةُ اليسـيرَةُ التِـي جَعَـلَ اللهُ لهَـا هَذَا الأجْـرَ العظيمَ لجديـرَةٌ بالتَّأَمُّـلِ والتَّفَكُّـرِ والاتقانِ والاحتِسَابِ.

فاللهُـمَّ اجعلنَا ممَّنْ يُعظِّـمُ شـعائِرَكَ، وتقبَّلْ منَّا صالِحَ أعمَالِنَا يَا أرحَمَ الراحِمِينَ.

❋❋❋

من كتاب العمرة والرحلة الإيمانية

رابط تحميل الكتاب

https://drive.google.com/file/d/1aLKINEI8DIjq2w11-T6xmG3ljNWs8sRj/view?usp=sharing